وعما دل على امره مما اشرنا الى جملة تبلغ نحواً من هذا الوجه
الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان معجزات الرسل
صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كانت بقدر هِمَم اهل زمانهم
بحسب الفن الذي سما فيه قرنه فلما كان زمن موسى عليه السلام
غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم
عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم يكن في قدرتهم وابطل سحرهم
وكذلك زمن عيسى عليه السلام اغنى ما كان الطب واوفر ما كان
اهله فجاءهم امر لا يقدرون عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء
الموتى وابراء الاكمه والابرص دون معالجة ولا طب وهكذا معجزات
سائر الانبياء عليهم السلام ثم ان الله تعالى بعث محمداً عليه الصلوة
والسلام وجملة معارف العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر
والكهانة فانزل الله تعالى عليه القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول
من الفصاحة والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم
الغريب والاسلوب العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه
ولا علموا في اساليب الكلام منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث
والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت عليه ويعترف
المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل
الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشراً ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة
وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من
تفرغ لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها

ثم بقيت هذه المعجزة الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي
ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم القيمة بينة الحجة لكل
امة تأتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا
ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان
وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين والنفس اشد
طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان كل عندها حقاً
وسائر معجزات الرسل صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين انقرضت
بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتهم ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم
لا تبيد ولا تنقطع وآياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار صلى الله عليه وسلم
بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا القاضي ابو الوليد
ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري
ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله ثنا الليث عن سعيد
عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الآيات ما مثله امن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحياً اوحاه الله تعالى الي فارجوا ان
اكون اكثرهم تابعاً يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو
الظ والصحيح ان شاء الله وذهب غير واحد من العلماء في تأويل
هذا الحديث وظهور معجزة نبينا صلى الله عليه وسلم الى معنى آخر من
ظهورها بكونها وحياً وكلاماً لا يمكن التخيل فيه ولا التحيل عليه
والتشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها

اي اكثرهم